

تاريخ ما بين السطور  
و جمع القبر بينهما  
رمضان مصطفى سليمان





## أنشودة التوأمين قدرٌ واحدٌ في جسدين

لم تكن حكاية التوائم يوماً مجرد مصادفة بيولوجية عابرة، بل كانت—في وجدان الإنسان، وفي سجل الحكايات، وفي دفاتر الأدب—لغزاً وجودياً عميقاً، تتشابك فيه الأسئلة عن الروح، والهوية، والقدر. كم من شاعرٍ تغنى بتوأمين كأنهما وجهان لمرأة واحدة، وكم من روائيٍ توقّف طويلاً أمام ذلك التشابه المذهل الذي لا يقف عند حدود الملامح، بل يتسلل إلى أعماق النفس، فيوحّد الفكر، ويقربّ الشعور، حتى ليخيّل للناظر أن قلباً واحداً ينبض في صدرين.

ولعلّ الأديب الأمريكي مارك توين قد لمح هذا السرّ بطريقته الساخرة الرشيقة، حين عالج ظاهرة التماثل في قصته الضفدعة النطاطة، فجعل من الغرابة مادة للابتسام، ومن التماثل باباً للدهشة الخفيفة. أما ألكسندر دوما، فقد تناول الفكرة ذاتها في عمله سيده مونسورو، لكن بحدّة تخلو من رهافة الشعور، كأنما كان يطارد الحدث أكثر مما يصغي إلى نبض الإنسان.

غير أن حكايتنا اليوم ليست من نسج الخيال، ولا من زخارف الأدب وحده، بل هي قصة واقعية حملها القدر في صمتٍ ثقيل، لثُكّت على صفحة الزمن بمدادٍ من الدهشة والألم معاً. إنها قصة توأمين لم يعرفا الفراق لحظة واحدة طوال ستين عاماً، حتى إذا جاء الفراق، جاء كخيطٍ رفيعٍ يفصل بين الحياة والموت.

+

في ليلةٍ خريفيةٍ من ليالي أكتوبر عام 1811، كانت الريح تمرّ بين أزقة الحي الصيني في أتلانتا كأنها تحمل نذراً خفية. كان البيت الخشبي الصغير في الطابق الثاني يعجّ بالحركة، كخلية نحلٍ أصابها

اضطراب مفاجئ. أصوات الأقدام، وقع الأواني، همسات النساء،  
وأنفاس القلق... كلها كانت تتداخل في سيمفونية من التوتر.

في قلب هذا الاضطراب، كانت امرأة خمسينية، ذات ملامح  
حادة ولسان لا يهدأ، تتحرك كأنها محور الكون في تلك اللحظة. لم  
تكن مجرد أم، بل كانت حارسة السرّ الذي يُولد خلف الباب المغلق.

اقتربتُ منها، وقلت في حذر:

سيدتي، ما هذا الصخب؟ إنكم تقلقون الجيران، وهذه  
الأواني... ما سرّها؟

التفتت إليّ بعينين تلمعان كحدّ السكين، وزجرتني :

ابتعد عن طريقي ! ألا ترى الماء يغلي؟ أتحب أن يُسكب  
عليك؟

ثم تدخلت زميلتي، بصوتٍ أكثر ليناً:

معذرة يا سيدتي، نحن لا نعلم... هل هناك ولادة؟

تنهّدت المرأة، وقالت بنبرة أقلّ حدة:

نعم، ابنتي سو وانج... هذه ليلتها. الليلة ستمنح زوجها أول  
مولود.

ثم أغلقت الباب، كأنها تغلق على سرّ لا يجوز أن يُرى.

+

في الخارج، كان الأب—تشينج وو—يمشي جيئةً وذهاباً،  
كأن الأرض تضيق تحت قدميه. كان القلق يتسلل إلى ملامحه، لكنه  
كان يخفيه خلف قناع من التماسك.

اقترب من المرأة حين خرجت مرة أخرى، وسألها بصوتٍ  
متهدّج:

ألم تنته بعد؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة، وقالت:

لكل شيءٍ ميعاد يا تشينج وو. لا تقلق... زوجتك قوية.

ثم أضافت، كأنها تلقي طمأنينةً مشروطة :  
والمولدة تحتاج إلى مزيد من الماء الساخن.  
تردد لحظة، ثم قال:

قولي لي... هل سيكون ولدًا؟

ضحكت المرأة ضحكة قصيرة :

يا لك من رجلٍ عجيب! أليس كل ما يأتي به القدر خيرًا؟  
نعم... لكنني أريد ولدًا... ولدًا يساعدني في ورشتي.

هزّت رأسها، وقالت بحكمةٍ قديمة:

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن... لكنني أظنها ستلد ولدًا.  
تعلّقت عيناه بها :

حقًا؟

بطنها كبيرة... وهذا عندنا دليل.

تمتم لنفسه :

إذن سيكون قويًا... سيحمل المطرقة مثلي...

+

وفجأة، اخترق الصمت صوتٌ بكاءٍ حاد، كأنه إعلانٌ عن  
بداية عالمٍ جديد.

فتح الباب قليلاً، وخرجت المرأة، ووجهها مشرق :

ولد يا تشينج وو... ولد!

تهلل وجهه ، وكاد يندفع إلى الداخل :

دعيني أراه!

أوقفته بيدٍ حازمة :

لم تنته بعد !

كيف؟ أسمع صوته !

نظرت إليه نظرةً غريبة، وقالت :

يبدو أن هناك ولدًا آخر.

آخر؟! !

وربما... أكثر.

ارتجف صوته :

ماذا تقولين؟

التوأم... أحيانًا يأتي متشابكًا...

+

في تلك اللحظة، لم يعد تشينج وو يسمع شيئًا. كان عقله يدور في دوامة: فرحٌ يتضخم، وخوفٌ يتسلل، وأملٌ يتأرجح بينهما.

ولدان...! قالها في نفسه، ثم أردف:

لكن... ماذا يعني متشابكان؟

كان قلبه يخفق كطبل حرب.

+

بعد لحظاتٍ بدت كدهر، خرجت المرأة مرة أخرى، لكن وجهها لم يكن كما كان.

تقدم الأب، بعينين متعلقتين بها:

ماذا هناك؟

قالت ببطء، كأنها تنتقي كلماتها من بين أشواك:

هما... توأمان...

لم يتركها تكمل :

يا للسعادة!

لكنها قاطعته، بصوتٍ خافتٍ كأنه يأتي من بعيد:

ولكنهما... ملتصقان.

سقطت الكلمة كصخرة في بئر عميق.

ملتصقان ؟

عند الصدر... لا يمكن فصلهما.

+

ساد صمتٌ ثقيل، كأن الزمن توقف احترامًا لهول اللحظة.

في داخل تشينج وو، كانت حربٌ تدور:

هل أفرح ؟ هل أحزن ؟ هل أحمد السماء... أم أعاتبها ؟

تذكر قول الحكماء:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه... تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

ثم نظر إلى الباب المغلق، وقال في نفسه:

مهما كانا... فهما ولداي.

+

مرت السنوات، وكبر التوأمين، وهما جسدٌ واحد، لكن بروحين متميزتين. كان أحدهما يميل إلى الصمت والتأمل، بينما الآخر كان أكثر حيوية واندفاعًا. ومع ذلك، كان بينهما خيطٌ خفي، لا يُرى، لكنه يُحسّ.

إذا ضحك أحدهما، تبعه الآخر دون سبب. وإذا مرض أحدهما، اشتكى الآخر من الألم ذاته، كأن الجسد يقسم الألم بالتساوي.

وفي إحدى الليالي، قال الأول للثاني:

هل تشعر بما أشعر ؟

أي شيء ؟

كأن قلبي ليس لي وحدي...

ابتسم الآخر، وقال :

لأنه ليس لك وحدك.

+

كان حوارهما الداخلي أعمق من كل ما يُقال:  
 من أنا؟ هل أنا نصف؟ أم أنا كلُّ مكتمل؟  
 وهل يمكن للروح أن تنقسم؟ أم أنها تتعدد في الجسد الواحد؟  
 ومرت العقود، وهما يعيشان، يعملان، ويشيخان... معًا.  
 لم يعرفا الوحدة، لكنهما لم يعرفا الحرية أيضًا.  
 وكانا يرددان بيتًا من الشعر:

نحن اثنان في الهوى جسدٌ والروح فينا لواحدٍ قُسمت

+

وفي عامهما الستين، حين بدأ الجسد يضعف، شعر أحدهما  
 بثقلٍ غريب.

قال للآخر:

أظن أن الرحلة تقترب من نهايتها.

ردّ الآخر بهدوء:

إن رحلت... فلن أتأخر.

وفي تلك الساعة الأخيرة، ولأول مرة، حدث ما لم يحدث في  
 ستين عامًا.

سكن أحد القلبين.

وساد صمتٌ... لم يعرفه الجسد من قبل.

وبعد ساعة واحدة فقط... لحق به الآخر.

+

هكذا، انتهت الحكاية كما بدأت: معًا.

كأن القدر قال كلمته الأخيرة:

من جمعتهما الحياة، لن يفرقهما إلا الموت... ولن يطيل الفراق.  
وهكذا تبقى قصة التوأمن السياميين، ليست مجرد حكاية عن غرابة  
جسدية، بل تأملٌ عميق في معنى الوحدة، وفي سرّ الروح، وفي ذلك  
الرابط الخفي الذي قد يتجاوز حدود الجسد، ليبلغ ما لا تدرکه  
الحواس.  
وما الحياةُ سوى لقاءٍ عابرٍ لكنّ بعضَ اللقاءِ... لا ينتهي.

## التوأمان عند عتبة القدر

حكاية تاريخية من الحي الصيني: سيرة الجسد الواحد والروحين

في ذلك الركن القصي من الحي الصيني، حيث تتعانق الشرفات الخشبية فوق الأزقة الضيقة، وتتدلى الفوانيس الحمراء كأنها قلوبٌ صغيرة تخفق في عتمة المساء، وُلد الخبر قبل أن يولد الطفلان.

كان الناس يتناقلونه همساً أول الأمر، ثم ما لبث أن صار حديث البيوت والدكاكين والمقاهي: امرأة شانج لي وضعت توأمين ملتصقين عند الصدر والبطن، جسداً يشقه قلبان، وروحاً يظللها مصير واحد.

من أعلى الصدر، عند موضع الثدي، حتى جانب السرّة، كان الالتصاق كاملاً: عضلاتٌ واحدة، وجلدٌ واحد، كأن الطبيعة أرادت أن تكتب بيتاً شعرياً غريباً بلحمٍ ودم، لا بحبرٍ وورق.

سمّاهما الأب، بعد صمتٍ طويل يشبه انكسار الزجاج : شانج... وأنج.

لم يبقَ في الحيّ أحدٌ إلا صعد السلم الخشبي المتهاك إلى الغرفة العليا ليرى الأعجوبة.

نساءٌ يضعن أطراف أثوابهن على أفواههن دهشةً، رجالٌ يهزون رؤوسهم بحزنٍ ثقيل، وصبيةٌ يرمقون المهد بعيونٍ تلمع فيها رهبة الاكتشاف.

كانت الأم جالسةً عند رأس المهد، تحدّق فيهما بعينين غارقتين في الدموع و أسى لا قرار له.

لم تكن تبكي؛ فبعض الأحران، إذا جاوزت حدّها،  
تحوّلت إلى صمتٍ ، . . و ذهول .

كانت تنظر إلى وجهيهما الصغيرين، وتكاد ترى فيهما  
سؤالاً لم تتجح السماء نفسها في الإجابة عنه.

أما الأب، فكان واقفاً عند النافذة الخشبية، قبضته  
مشدودتان، وصدرة يعلو ويهبط كمن يصارع عاصفةً هوجاء  
في داخله. ثم انفجر صوته خشناً، مكسوراً، كأنما يجلد به  
القدر:

ماذا أفعل بهذين ؟ أردت ولداً يعينني في عملي،  
فاذا بي أرزق ولدين لا نفع من ورائهما ! لن يصلحاً إلا  
للسحابة، وعرض عاهتهما على الناس ، لماذا تعاقبني  
السماء ؟ لماذا ؟

سقطت الكلمات في الغرفة كسياطٍ من نار.

رفعت الأم رأسها إليه، وفي عينيها رجاءٌ منكسر،  
وقالت بصوتٍ خافت:

لا تقل هذا... إنهما يسمعانك بروحيهما، وإن لم تفهم  
آذانهما بعد.

فأشاح بوجهه، لكنه لم يستطع أن يهرب من الحقيقة:  
كان الطفلان نائمين في سلامٍ عجيب، كأنهما وحدهما لا  
يشعران بثقل المأساة التي أحاطت بميلادهما.

+

مرّت الأعوام كما تمرّ القوافل في الصحراء؛ بطيئةً،  
محمّلةً بالغبار والحنين.

شبّ التوأمان في غرفةٍ واحدة، على سريرٍ واحد، في  
نهارٍ واحد، وحلمٍ واحد.

تعلّما منذ الطفولة أن الخطوة ليست قرار فردي، بل تفاهم روحيين؛ وأن الالتفاتة الصغيرة قد تكون حوارًا صامتًا أعمق من كل اللغات.

كان شانج، الأقصر ببوصتين، ضاحكًا على الدوام، يحمل في عينيه شرارةً من سخريّة لطيفة، كأنه اتخذ من الفكاهة سلاحًا ضدّ قسوة العالم.

أما أنج، فكان أكثر صمتًا، تتكاثف في ملامحه غيوم التفكير، ويغرق أحيانًا في مزاجٍ سوداويّ كليّ شتويّ طويل. في إحدى الليالي، بينما كان المطر يقرع السقف الخشبي قرعًا رتيبًا، همس أنج لأخيه وهما في فراشهما المشترك:

هل فكرت يومًا، يا شانج، كيف كان سيكون شكل الحياة لو كنا جسدين منفصلين؟

ابتسم شانج، وأدار وجهه إليه ببطء:

أظني كنت سأفتقدك.

حتى لو صرت حرًا؟

أي حرية هذه التي تُشترى بالوحدة؟

ثم أضاف ضاحكًا:

لقد علّمتني يا أخي أن الإنسان قد يُقَيّد بالجسد، لكنه يظلّ طليقًا بالروح.

صمت أنج طويلًا، ثم قال بصوتٍ يشفّ عن قاعٍ نفسيّ

عميق:

أنا لا أخاف من الجسد الواحد، بل من المصير  
الواحد... أخاف أن أموت قبلك، فتبقى معلقاً بي بين الحياة  
والموت، أو تموت قبلي فأحمل جثمانك نصفاً مني.

ارتجف شانج قليلاً، لكنّه تمالك نفسه وقال:

كلنا نحمل موت من نحبّ في صدورنا، سواء كنا  
ملتصقين أم متباعدين.

ابتسم أنج رغم حزنه، وأحسّ لأول مرة أن الشعر  
يربّت على قلبه كما تفعل يد أمّ.

+

كان الحيّ قد اعتاد وجودهما، بل أحبّهما.

الشبان الصينيون يصحبونهما في النزّهات والسباقات،  
وقد عُرفا بمهارةٍ نادرة في العدو؛ كانا ينسابان كغزالٍ ذي  
رأسين، تتناغم خطواتهما على نحوٍ يثير الدهشة والإعجاب.

زارهما العلامة الإنجليزي **Charles Cross** مرةً  
أخرى بعد أن بلغا سنّ الشباب.

دخل عليهما وقد امتلأت كراسته بالملاحظات، لكن  
عينيه هذه المرّة لم تكونا عينيّ عالمٍ بارد، بل عينيّ رجلٍ  
لامس جوهر الإنسانية.

كتب في كراسته:

إنهما متحابّان، ولا غرو، فهما متلازمان ليل نهار.  
ينامان في فراشٍ واحد، وقد يحتضن كلّ منهما أخاه في محبةٍ  
وحنان.

لهما من أصدقائهما الصينيين محبةٌ صادقة، وهما بارعان في  
العدو.

الخلاف الوحيد بينهما أن شانج ذو طبيعةٍ مرحة، كثير

الضحك، حلو الفكاهة، بينما أنج أكثر غرقًا في دوامات الحزن والتفكير.

لكنه أضاف في هامش الصفحة، كمن يدون سرًا فلسفيًا:

لعلّ المأساة لا تكمن في التصاق الجسدين، بل في وعي أحدهما بها أكثر من الآخر.

+

في إحدى أمسيات الخريف، جلس الأخوان على سطح البيت، يتأملان القمر فوق الحيّ الصيني. قال أنج:

أتعلم يا شانج؟ أحيانًا أشعر أننا لسنا معاقين، بل العالم هو المعاق عن فهمنا.

ضحك شانج وقال:

أخيرًا قلت شيئًا يليق بحكماء الصين.

ثم أردف متأملًا:

الناس يظنون أن المأساة في أجسادنا، لكن المأساة الحقيقية في عيونهم؛ يرون الغرابة ولا يرون الأخوة، يرون الالتصاق ولا يرون الرحمة.

هنا غرق أنج في حوارهِ الداخلي، وراح صوته النفسيّ يتردد في أعماقه:

أنا حزين لأنني ملتصق بأخي؟ أم لأنني أعرف أن البشر لا يغفرون الاختلاف؟ هل أكره قدرتي، أم أخشى نظرتهم إليه؟

ثم أحسّ أن صدره يهدأ شيئًا فشيئًا، كأن وجود شانج إلى جواره يرّم الشقوق الخفية في روحه.

قال فجأة:

لو خُيرت بين الانفصال والموت، ماذا تختار؟

أجاب شانج بعد صمتٍ عميق:

أختار ما يبقى المعنى. فالحياة بلا معنى ليست إلا موتًا مؤجلاً.

ثم تتم بحكمةٍ قديمة:

ليس الشأن أن تعيش طويلاً، بل أن تعيش كاملاً.

+

وهكذا مضت حياتهما بين دهشة الناس، وشفقة البعض، ومحبة القليلين الذين أبصروا في قصتهما ما هو أبعد من عاهة الجسد

أبصروا حكاية إنسانية عن الأخوة، والقدرة، والتسليم، وصراع النفس مع مرآتها.

كان أنج يغوص في نفسه كل ليلة، يفتش عن معنى مأساته، بينما كان شانج يردّ عليه دائماً بابتسامةٍ تفتح نافذةً في الجدار.

وفي النهاية، استسلما لليقين الوحيد الذي لم يخذلهما:

أنهما لم يفترقا يوماً، ولن يفترقا حتى في القبر.

ولعلّ في قصتهما حكمةً خالدة:

قد يجمع الله بين قلبين في جسدين، وقد يجمع بين جسدين في قلبٍ واحد. فأيّ المعجزتين أعجب؟

## التوأمان في مرآة القدر لقد أصبح الألم مسرحًا، وصار المصير أسطورة

ثم لعب القدر لعبته الأكثر إثارة، تلك اللعبة التي لا يعلن قوانينها لأحد، بل يترك البشر يتعثرون في خيوطها كما تتعثر الفراشات في ضوء المصابيح.

كانت الليلة باردة، والرياح تمشط أزقة أتلانتا بأصابع خفية، فيما مضى التوأمان، شانج وإنج، بخطوات متناسقة كأن جسديهما قصيدة واحدة كُتبت على سطرين. لم يكونا يقصدان من خروجهما سوى التسلية العابرة، مشاهدة عرض مسرحي يقتل رتابة الأيام، غير أن الأقدار - كعادتها - كانت قد هيأت لهما مسرحًا آخر، أكبر من خشبة المسرح نفسه، وأعمق من كل نصوص الممثلين.

دخل الاثنان القاعة، فتبدلت الهمهمات إلى صمت، ثم انقلب الصمت إلى دهشة كثيفة.

نسي الحاضرون ما جاؤوا من أجله؛ لا الممثلون عادوا يثيرون الانتباه، ولا الأضواء بقيت جديرة بالنظر. كانت العيون كلها تنجذب، كأن قوة غامضة تشدها، إلى التوأمين الملتصقين من الصدر، ذلك المشهد الإنساني النادر الذي جمع بين الإعجاز البيولوجي والمأساة الوجودية.

وفي كواليس المسرح، كان مدير العرض يرقبهما بعين التاجر الذي لمح كنزته فجأة، وبعين الفنان الذي لمح مشهدًا لا يتكرر. اقترب منهما بوجه بشوش وصوت مفعم بالمجاملة:

يا سيد أنج...

فقاطعه شانج ضاحكًا، وقد لمعت في عينيه روح الدعابة التي طالما احتفى بها من قسوة نظرات الناس :

أنا شانج، أما أخي فهو إنج.

ابتسم المدير، وقد بدا عليه شيء من الارتباك :

أهلاً بكما، أنا مدير هذا المسرح. أرى أن حضوركما الليلة قد خطف الأبصار. ما رأيكما أن تصعدا إلى الخشبة دقائق معدودات، وتثريا الجمهور موضع الالتصاق من صدريكما؟ سأدفع لكما أجراً مناسباً.

نظر شانج إلى أخيه، ثم إلى الرجل، وفي أعماقه دار حوار آخر، لا يسمعه أحد:

أهذا ما صرنا إليه؟ فرجة بشرية ؟

لكن صوتاً آخر في داخله ردّ عليه:

وما العيب في أن نصنع من غرابتنا رزقاً؟ إن الناس تحقد بنا في الطرقات مجاناً، فلماذا لا ندعهم يدفعون ثمن دهشتهم ؟

قال شانج بلهجة عملية:

ولمَ لا؟ كم تدفع ؟

عشرين دولاراً.

تهللت ملامح شانج، فقد كان المبلغ كبيراً بالنسبة لأمسهما الفقير.

مبلغ مناسب، ولكننا لن نقف طويلاً، فالجو الليلة بارد جداً.

ضحك المدير، وهز رأسه موافقاً، ثم قادهما إلى الخشبة.

وما إن ظهرا تحت الأضواء حتى دوى التصفيق، لا إعجاباً فحسب، بل انبهاراً ممزوجاً بالشفقة والفضول.

كان شانج يبتسم للجمهور ابتسامة الواثق، أما إنج فكان أكثر انكماشاً، كأن روحه تتحسس جراحاً قديمة كلما ارتفعت عليه العيون.

في تلك اللحظة، غاص إنج في داخله:

أنا إنسان أم مشهد ؟ هل يصفقون لنا لأننا شجاعان، أم لأننا

مختلفان ؟ أيعقل أن يكون الألم باباً إلى المجد ؟

\*

ومنذ تلك الليلة، صار التوأمان النمرة المحبوبة لرواد الفرقة المسرحية.

كانت الليالي تتوالى، والجمهور يزداد، والدهشة تتحول إلى ولع. لم يعودوا مجرد حالة طبية نادرة، بل أصبحا رمزًا حيًا لفكرة عجيبة: أن ما يراه الناس عيبًا قد يصبح بابًا إلى الخلود.

وذات مساء، جمعهما مدير المسرح وقد اتسعت في رأسه حيلة جديدة:

ماذا لو قمتما ببعض الحركات معًا؟ كالعدو مثلًا، أو الشقلبية؟ إن الجمهور سيهتف لكما أكثر.

رفع إنج حاجبيه، وفي صوته نبرة حذرة:

كل حركة بئمنها.

ضحك المدير بإعجاب :

بالطبع، وسأزيد الأجر لقاء لحظات أطول على المسرح.

تبادل الأخوان نظرة طويلة. في تلك النظرة تاريخ كامل من الصمت المشترك، من القرارات التي لا تُتخذ إلا بعين واحدة وقلبين.

قال شانج، وهو يربت على كتف أخيه :

ما رأيك يا إنج؟ لنجعل من أجسادنا التي حسبها الناس قيّدًا، آلةً للدهشة.

أجابه إنج بصوت منخفض :

أخشى أن نبيع إنسانيتنا قطعةً قطعة.

فرد شانج بحكمة بدت كأنها خرجت من صميم المعاناة :

يا أخي، ليس الفقر أكثر كرامة من الفرجة. الكرامة في أن نختار نحن كيف يرانا العالم.

وهكذا بدأت العروض تتوسع. ركض متزامن، التفاف محسوب، قفزات قصيرة، شقلبات تثير الصيحات.

صار الجمهور يرى فيهما أكثر من غرابة الجسد؛ صار يرى انتصار الإرادة على حدود اللحم.

وكان شانج يردد هذا البيت ساخرًا من أولئك الذين لم يروا فيهما إلا عاهة، بينما هما الآن يفرضان على العالم احترامًا مدفوع الثمن.

ولم يلبث القدر أن أرسل إليهما عرضه الدسم حقًا.

في صباح شتوي، وصل إلى أتلانتا رجل اشتهر في أنحاء أمريكا كلها بصناعة الإدهاش: جون بارنوم، صاحب أشهر السيركات والعروض المثيرة في New York City.

دخل عليهما بملابس أنيقة وعصا لامعة، وفي عينيه نكاء رجل يعرف كيف يحوّل العجيب إلى ذهب.

قال، بعد أن انحنى قليلاً :

اسمح لي يا سيد شانج، وأنت يا سيد أنج، أن أقدم لكما نفسي: أنا جون بارنوم، صاحب أشهر سيرك في أمريكا. جئت أعرض عليكما فرصة العمر.

توقف لحظة، ثم أكمل بصوت الواثق :

مرتب شهري قدره ألف دولار، لقاء ظهوركما كل ليلة على مسرح السيرك، وأداء بعض الحركات السهلة، على أن تكونا عاريين حتى البطن ليظهر موضع الالتصاق بوضوح.

ساد صمت ثقيل.

في داخل إنج، ارتجّ شيء عميق.

New York City؟ تلك المدينة البعيدة، الأسطورية، التي تشبه الحلم والهاوية معًا. أيمن أن يقتلعهما العرض من أتلانتا، من الشوارع التي ألفتها، من الوجوه التي صارت تحفظ اسميهما؟

قال إنج بصوت امتزجت فيه الدهشة بالقلق :

في نيويورك؟

ابتسم بارنوم، لكنه التفت خطأً إلى شانج — بالطبع يا عزيزي شانج.

انفجر شانج ضاحكًا، حتى كادت ضحكته تعدي أخاه :

أنا شانج، أما أخي فهو إنج.

هز بارنوم رأسه معتذرًا :

من الصعب التمييز بينكما؛ نفس اللون، نفس التقاطيع.

رد شانج بخفة :

أنا أقصر من أخي ببوصتين، وهذا وحده يكفي ليعرفني الأذكىاء.

ثم عاد بارنوم إلى جوهر المسألة :

ما قولكما ؟

التفت شانج إلى أخيه، لكن هذه المرة لم يكن السؤال مجرد عرض عمل، بل سؤال مصير :

ما قولك يا إنج ؟

ظل إنج صامتًا لحظة طويلة.

في داخله كانت تتصارع مدينتان: أتلاننا التي فيها الألفة، ونيويورك التي فيها المجد.

كان يسمع صوت خوفه يقول: ابقَ حيث تعرف الجدران أسماءك.

لكن صوتًا آخر، أعمق، كان يهمس: إن الإنسان لا يعرف نفسه إلا إذا خاطر.

ومع ذلك قال أخيرًا:

لست أدري... أفضل أن أبقى هنا في أتلاننا.

قهقهه شانج، تلك القهقهة التي كانت دائمًا تخفي وراءها خوفًا لا يقل عن خوف أخيه:

بسيطة، سأذهب وحدي إذن... هذا إذا كان في استطاعتك، يا  
إنج، أن تقطع بالسكين هذه العضلات التي تقيدني إليك !

كان المزاح لاذعًا، لكنه فتح فجوة في الروح.

نظر إنج إلى موضع التصاقهما، ذلك الموضع الذي كان  
سجنًا أحيانًا، ووشيجة رحمة أحيانًا أخرى.

ثم قال ببطء، كأن كل كلمة تخرج من عمق القلب :

وحتى لو استطعت هذا يا أخي... فلن أفارقك أبدًا.

ساد صمت مهيب .حتى بارنوم نفسه شعر أنه أمام رابطة  
تتجاوز الجسد، رابطة صنعتها سنوات الألم المشترك، والنوم  
المشترك، واليقظة على الوجع نفسه.

في تلك اللحظة، أدرك إنج حقيقة نفسه:

لم يكن يخشى نيويورك، ولا المسرح، ولا عيون الناس.

كان يخشى أن يكتشف، في مدينة بعيدة، أن نجاحهما لا يقوم  
إلا على هذا الالتحام الذي طالما تمنى الخلاص منه.

أما شانج، فكان يفكر في الأمر من زاوية أخرى:

إن العالم لا يمنح فرصه إلا لمن يجروء. نحن لم نختر هذا  
الجسد، لكن يمكننا أن نختر القصة التي يرويها.

ثم قال بصوت حاسم :

سنذهب. ليس لأن المال كثير، بل لأن الحكاية أكبر من أن  
تبقى حبيسة أتالانتا.

ابتسم إنج، وفي عينيه لمعة استسلام جميل :

إذن نذهب معًا، كما جننا إلى الدنيا معًا.

وهكذا، تحت سماء باردة ونجوم بعيدة، بدأ فصل جديد من  
أسطورتها.

لم يعودا مجرد توأمين ملتصقين؛ صاروا شاهدين على مفارقة  
إنسانية عظيمة:

أن القيد قد يكون جناحًا، وأن ما يبدو نقصًا قد يصبح سرّ  
التفرّد.

وكانت نفسيتهما، في عمقها، تتحول شيئًا فشيئًا.

شانج: أكثر تصالحًا مع غرابة الجسد، يرى في كل نظرة  
فرصة.

إنج: أكثر تأملًا، يغوص في معنى الأخوة والمصير والهوية.

وفي قلب كل واحد منهما سؤال لا يهدأ:

لو كنا وُلدنا منفصلين، هل كنا سنحب بعضنا بهذا العمق؟

ذلك هو السؤال الذي لم يجب عنه التاريخ، لكنه تركه معلقًا

في ذاكرة المسرح، وفي ذاكرة الإنسان نفسه.

## توأما الماء والنار

### حكايةٌ روحينٍ علقنا في جسدٍ واحد، ثم افترقتا في القلب

كانا في العشرين؛ عمرٌ لا يزال الضوء فيه غضًّا، والروح فيه سريرة الاشتعال، والدهشة فيه خبز الأيام.

ومن فرط ما تشابها، حُيِّلَ لمن حولهما أن القدر حين صنعهما لم يفرِّق بين نَفْسٍ ونَفْسٍ، ولا بين رغبةٍ وأخرى.

كانا يحبَّان الطعام ذاته؛ يلتهمان الحساء الحار في ليالي الشتاء كما لو أنه عزاءٌ سرِّي، ويُقبلان على الفاكهة الصيفية ببهجة طفلين وجدا الشمس في طبق.

ويكرهان الخمر والتدخين كأنهما يكرهان كل ما يعكّر صفاء الجسد أو يطمس يقظة العقل.

حتى الفكاهة كانت تمرّ من البوابة نفسها إلى قلبيهما؛ النكتة ذاتها تُضحكهما، والمشهد نفسه يوقظ فيهما تلك الرعشة الصغيرة التي تسبق الضحك.

لكن الضحك، حتى وهو ابنُ السبب نفسه، كان يخرج من كلِّ منهما بملامح مختلفة.

كان أنج يضحك بتحفظ، كأن ضحكته طائرٌ حذرٌ يحطّ على غصنٍ ثم لا يلبث أن يستعد لل طيران.

أما شانج فكانت ضحكته تنطلق مدويةً مرحة، واسعةً كجرس كنيسة في صباح عيد، فيها شيء من ثقة البحر حين يصفق على الصخور.

ولعلّ أكثر ما كان يدهش الناس أن اختلاف الطباع لم يكن يومًا اختلاف أرواح؛ فقد كانا، في نظر الجميع، مثالا نادرًا للتوافق والتمازج، كأنهما جملتان في قصيدة واحدة لا يستقيم الوزن إلا بهما معًا.

إلى أن جاءت السفينة. كانت تشقّ الأطلسي في طريقها إلى نيويورك، كأنها إبرة هائلة تخط قارتين بخيطٍ من الزبد.

الريح مالحة، والليل طويل، وصفير الباخرة يقطع السكون مثل نداءٍ غامض صادر من قلب العالم.

هناك، على ظهر تلك السفينة، دبّ أول خلاف بينهما.

لم يبدأ حول المال، ولا حول المجد، ولا حول مستقبلهما في سيرك بارنوم الذي صاروا من نجومه اللامعين.

بدأ حول شيءٍ بالغ التفاهة في ظاهره، بالغ الرمزية في عمقه: **الحمام**.

وقف أنج عند حوض الاستحمام، عيناه تضيقان بشيءٍ يشبه الضيق الوجودي أكثر مما يشبه الانزعاج العابر، ثم قال غاضبًا:

**لا أحتمل الماء الساخن. أريد حمامًا باردًا.**

ضحك شانج، تلك الضحكة التي كانت قديمًا تطمئن أخاه، وقال بنبرة مازحة:

**أنج، لقد كنت تحبّ الحمام الساخن. ما الذي جرى لك؟ أنت تعرف أنني لا أطيق الماء البارد.**

ساد صمت قصير، بدا فيه أنج كمن ينصت إلى صوتٍ داخلي لا يسمعه سواه.

ثم قال، ببطءٍ غريب، كأن الكلمات تُنتزع من أعماقه:

**وأنا لا أطيق هذه الأيام الماء الساخن... أخرجوني من هذا الحوض. بل من قال أصلًا إننا في حاجة إلى الاستحمام؟**

في تلك اللحظة، تدخّل بارنوم، مدير السيرك، وقد كان يراقبهما بعين الرجل الذي يرى ما وراء المشهد:

**بل لا بدّ من الاستحمام. أتريدان أن يقفز الركاب إلى البحر هربًا من رائحتكما؟**

ضحك شانج. أما أنج فلم يضحك.

ومنذ تلك الليلة، شعر بارنوم أن شيئاً خفياً قد انكسر.  
 كأن أول شرخ في المرآة لا يكون في الزجاج، بل في  
 الصورة المنعكسة نفسها.

+

رغم النجاح المذهل الذي حققاه في سيرك بارنوم، ورغم  
 الثروة الطيبة التي جمعها، ورغم الإجازات الناعمة التي كانا  
 يقضيانها في الضيعة الواسعة التي اشتريها على أطراف الجنوب،  
 فقد ازداد أنج مرارةً وحرناً.

كان يمشي في الحقول الطويلة كمن يفتش عن شيء ضاع  
 منه في داخله.  
 القمح يهتزّ حوله مثل بحرٍ ذهبي، والسماء زرقاء صافية، والهواء  
 محمّل برائحة التراب الرطب... ومع ذلك كان يشعر أن العالم كله  
 يضيق في صدره.

لماذا تغيرت ؟ كان يسأل نفسه في ليالٍ كثيرة، وهو ينظر إلى  
 السقف.

أنا الذي تغيرت، أم أن الحقيقة فقط بدأت تظهر ؟ هل كنا  
 متشابهين حقاً، أم أن الحياة كانت تؤجل الامتحان ؟  
 أما شانج، فكان لا يزال يحاول أن يرمم ما تهدم، يمزج الخفة  
 بالحكمة، والفكاهة بالصبر، كمن يداوي جرحاً بالضوء.  
 لكن الخلافات بدأت تتكاثر.

في الطعام، في إدارة المال، في معاملة الخدم، في ساعات  
 النوم، حتى في نبرة الحديث.

كل شيء تقريباً صار موضع نزاع، بعد أن كانا يوماً مثال  
 التوافق.

ومع ذلك، كما قال بارنوم ذات مساء، وهو يهزّ رأسه بأسى:

كانت بينهما نقطة التقاء لم يختلفا حولها أبداً: البخل.

كانا، في المال، وجهين لعملة واحدة. شديدي التقدير، قاسيين في الحساب، يزن كلُّ منهما الحبة قبل أن يمنحها.  
وكانت هذه القسوة تبلغ ذروتها في الضيعة، مع الخدم والعبيد السود الذين يعملون في الحقول.

وقد كتب شارلز كروس في كراسته الشهيرة عنهما:

بعيداً عن أمور المال، فهما من أرقّ الناس حاشيةً ولطفاً ورعايةً لمشاعر الآخرين. أما مع العبيد السود، فهما من أقسى ما عرفت من ملاك المزارع.

وروى حادثةً ظلت تلاحق اسميهما كظلٍّ أسود:

أنهما جلدا امرأةً سوداء لأنهما وجدا في كوخها الفقير كيساً من الحبوب، سرقة لتطعم به صغارها.

حين علم أنج بذلك، لم يشعر بوخز ضميرٍ بقدر ما شعر بفراغ داخلي. كان يدرك في لحظةٍ خاطفة أن القسوة، مثل الصدا، تبدأ من الخارج ثم تأكل القلب.

+

والشيء الوحيد الذي لم يشغل بالهما، على نحوٍ يثير العجب، كان النساء.

كانا في ميعة الشباب، والدم في عروقهما حيٌّ متوثّب، لكنهما لم ينظرا إلى امرأة قط كما ينظر الرجل إليها.

لم تكن النساء غياباً في العالم، بل غياباً في وعيهما. كأن وجود كلِّ منهما كان يملأ الفراغ الذي قد يتركه الآخرون.

إلى أن جاء يومٌ تنبّها فيه فجأةً إلى رجولتهما، كما يتنبّه المرء إلى بابٍ ظلّ مفتوحاً في البيت دون أن يراه.

قال شانج ذات مساء، وهما جالسان قرب نافذة تطل على الغروب:

ما رأيك في الزواج يا أنج؟

التفت إليه أنج، وابتسم ابتسامةً باهتة، ثم قال:

**الزواج؟ وكيف يحتمل الفراش أربعة أشخاص؟**

انفجر شانج ضاحكًا، وقال بروحه العملية المرحية:

**نصنع فراشًا عريضًا، ثم على الأرض متسع للجميع.**

هزّ أنج رأسه، وفي صوته شيء من المرارة القديمة:

**أنت دائماً تستسهل الحلول يا شانج. ومن أين لنا بفتاتين  
تقبلان هذا الوضع العجيب؟ لنعترف بالواقع... السماء تحاربنا.  
لماذا؟ لماذا؟**

كان السؤال يخرج من فمه أعمق من مسألة الزواج. لم يكن  
يسأل عن امرأتين، بل عن مصير كامل. عن معنى أن يكون الإنسان  
نصف حرية ونصف قيد. نصف ذات ونصف آخر.

اقترب شانج من أخيه، وخفّض صوته حتى بدا كأنما يخاطب  
جرحًا لا رجلًا:

**السماء لا تحارب أحدًا، يا أخي. هي تساعد الجميع، لكن  
بطرف لا نفهمها. اهدأ... ودع لي مشكلة الزواج هذه، سأحلّها  
بطريقتي.**

في عينيه كان بريق أمل، وفي عيني أنج كان ظلام شك.

+

كان معهما في السيرك امرأة عملاقة تُدعى سوراج؛ طولها  
متران ونصف، ومع ذلك تزوّجت زميلًا لها سويّ الهيئة والطول،  
وعاشا سعيدين.

تعلّق شانج بهذه الفكرة كمن وجد خيطًا في متاهة. إذا كانت  
سوراج قد وجدت من يرى فيها إنسانةً قبل أن يرى غرابة جسدها،  
فلماذا لا يكون لهما النصيب نفسه؟

لكن أنج، في أعماقه، لم يكن يخشى الرفض بقدر ما كان يخشى  
الاعتراف.

الاعتراف بأنهما، مهما علا التصفيق في السيرك، ومهما اتسعت الضيعة، ومهما كثر المال، يظلان سؤالاً حياً يمشي على قدمين.

وفي تلك الليلة، حين خلا إلى نفسه، راح يحاور ظله في المرأة:

هل أريد الزواج حقاً؟ أم أريد أن أكون مثل الآخرين فقط؟ هل نحن ناقصان، أم أن العالم هو الذي لا يعرف كيف يتسع لاختلافنا؟

ثم نظر إلى شانج النائم إلى جواره، وهدأت روحه قليلاً. فمهما تشعبت الطرق، كان هناك يقين واحد لا يتزعزع في قلبه:

أن هذا الأخ، هذا النصف الآخر، هو المرأة الوحيدة التي يرى فيها نفسه كاملة. وربما كان هذا هو سرّ مأساتهما معاً: أن الحبّ الأعمق في حياتهما لم يترك مكاناً سهلاً لأي حبّ آخر.

هكذا ظلّا، بين ماءٍ بارد يطلبه أنج، وماءٍ ساخن يحنّ إليه شانج، يمضيان في الحياة مثل استعارتين متجاورتين: واحدة للنار التي تضحك، وأخرى للثلج الذي يفكر.

وبينهما، كانت السفينة لا تزال تمضي... إلى نيويورك، وإلى قدرٍ لم يكن أيُّ منهما يعرف أن أول ملامحه بدأ من حوض استحمام.

## توأمان في جسد واحد مرثية الحب والكراهية على حافة المشروط

حين شرع شانج يبحث عن زوجتين، لم يكن يبحث عن حب، بل عن مخرج من وحدة تتكاثر في صدره كالعنمة. كان يشعر، في أعماقه، أن الحياة التي تقاسمها قسرًا مع أخيه أنج منذ الميلاد لا بد أن تتسع لشيء آخر غير التصاق اللحم باللحم؛ لشيء يشبه اللحم، أو الوهم، أو كذبة جميلة اسمها الاستقرار.

هداه تفكيره إلى وسطاء الزواج، أولئك الذين يبيعون الأقدار كما تُباع التذاكر على أبواب السيرك. وفي سرعة أقرب إلى العبث، عثر لهما أحد الوسطاء على فتاتين من المهاجرات الفقيرات، امرأتين دفعتهما الحاجة إلى قبول ما يرفضه الخيال نفسه. تمّ الزواج على عجل، بلا اختيار حقيقي، كأنما الحياة كانت تسابق نفسها نحو مأساة تعرف نهايتها سلفًا.

واحتفل أهل سيرك بارنوم بالزيجتين العجيبتين؛ ضحكات عالية، موسيقى صاخبة، ووجوه تتأرجح بين الشفقة والدهشة. بدا المشهد كرواية ساخرة كتبها القدر بحبر أسود: توأمان ملتصقان، وعروسان تائهتان، وليل يصفق فيه الجميع لفرح هش.

مرّ شهران فقط. شهران من هدوء خادع، كصفحة بحر تخفي تحتها بركائنًا من الحمم. ثم انفجر أتون الخلاف.

لم يكن السبب مألًا ولا تعبًا ولا ضيق معيشة، بل ذلك الوحش الأقدم من البشر: الحب حين يأتي في المكان الخطأ.

وقع شانج في غرام زوجة أخيه.

لم يكن غرامًا عابرًا، بل انجذابًا مدمرًا، كأن قلبه الذي لم يختر يومًا جسده، أراد أخيرًا أن يتمرد على كل شيء. كان يراها

قريبةً إلى حدِّ العذاب، يسمع أنفاسها، يلتقط ارتجافة صوتها، يرى  
حزنها الصامت وهي تعيش زواجًا لم تختره. شيئاً فشيئاً، تحوّلت في  
داخله إلى معنى للنجاة، إلى وطنٍ مستحيل.

وذات يوم، انفجر أنج صارخاً، وقد اشتعلت عيناه بغضبٍ  
يشبه الجنون:

**لا تنظر إلى زوجتي! استدر إلى الناحية الأخرى!**

ضحك شانج ضحكةً مرّة، ضحكة رجلٍ يسخر من عبث  
الوجود نفسه:

**وإلى أيّ طيفٍ أستدير؟ هل تستطيع أنت؟**

ساد صمتٌ ثقيل، ثم انبعث صوت أنج كزمجرة وحشٍ جريح:  
**اللعنة على هذه العضلات التي تربط بيني وبينك! قلت لك لا  
تنظر هكذا إلى زوجتي! وأنت... قومي! عليك اللعنة، اذهبي إلى  
الغرفة الأخرى!**

ارتجفت المرأة، لا من صوته وحده، بل من إحساسها بأنها  
أصبحت ساحة حربٍ بين روجين محبوستين في قفصٍ واحد.

صاح شانج، وقد اختلط الحبُّ في صوته بالتمرّد:

**لا تنهرها هكذا... أنت لا تستحقها.**

استدار أنج إليه، كأنّه يودّ لو يفتك به بعينه قبل يديه:

**أنت شرير. وإذا لم تسكت وتكفّ عن مغازلة زوجتي، قتلتك.**

ابتسم شانج بسخريةٍ وجوديةٍ موجهة:

**تقتلني؟ أنت تعلم أنّك بذلك تقتل نفسك أيضاً. ألم يقل الأطباء  
إننا سنموت معاً؟ موت الواحد منا بابٌ يُغلق على الآخر.**

منذ تلك اللحظة، تحوّل الخلاف إلى عرضٍ يوميٍّ في  
السيرك، لكنه لم يكن يثير التصفيق هذه المرّة، بل السخرية والضيق.  
صار الجميع يتهامسون: حتى العجائب تتعفن حين تسكنها الغيرة.  
للمرّة الأولى، عرض أنج مبلغاً كبيراً على أيّ جراحٍ يستطيع فصله  
عن توأمه.

كان ذلك أشبه بإعلان حربٍ على الجسد الذي عاشا فيه  
عمرًا.

وفي زيارةٍ عابرةٍ إلى نيويورك، استشارهما الجراح الكبير  
سير ليستون. جلس الرجل طويلًا يتأمل معجزتهما التشريحية، ثم  
قال بصوت الطبيب الذي يعرف حدود العلم:

لكل واحدٍ منكما جهازٌ عضويّ كامل؛ قلبان، كبدان، رتتان،  
معدتان، وأربع كلى. لكن آلاف القنوات الدموية الدقيقة متشابكة بين  
الجسدين تشابكًا معجزًا... الجراحة ستؤدي إلى أحد أمرين: إما  
الموت، أو الشلل الكامل.

خرج أنج صامتًا، لكن شانج كان في داخله قد حسم أمره.  
في ليله الطويل، كان يسمع صوت نفسه كأنه آتٍ من بئرٍ  
سحيقة:

ما معنى أن أحيأ وأنا أنتنفس كراهية رجلٍ لا أستطيع الهرب  
منه؟ ما معنى أن أحب امرأةً لا أستطيع الاقتراب منها إلا تحت نظر  
خصمي الأبدي؟ أهذه حياة، أم سجنٌ من لحم؟

كان الحب قد تحوّل في نفسه إلى رغبةٍ جارفةٍ في الانفصال،  
لا عن الجسد فقط، بل عن القدر كله.

صارت خلافتهما مصدر إزعاجٍ للجميع. يصرخان في الليل،  
فيهرع أهل السيرك إلى غرفتهما، فيجدون المشهد ذاته: أنج في ثورةٍ  
عمياء، وشانج بعينين متقدتين بنار العشق.

التعس يغازل زوجتي ! ينتظر نومي ويملأ رأسها الغبي  
بألفاظه الناعمة الخبيثة !

فيجيبه شانج متحدّيًا، كأنه يلقي بحياته في النار:

إنني أحبها أيها الوحش... وهي تحبتي، وأنت تعرف هذا.  
لقد حاولت قتلي الليلة الماضية، ولم أخلص رقبتى من قبضتك إلا  
بصعوبةٍ وبمساعدها.

كان أنج يسمع الجملة الأخيرة كطعنةٍ في كبريائه، فيصرخ:

سأقتلك يوماً ما! الموت هو الراحة الكبرى لي ولك من هذا العذاب!

وذات صباح باهت، بعد ليلةٍ من الصراخ والدموع والصمت الثقيل، توصلًا إلى أقرار الحاسم.

قال شانج، وصوته يخرج كأنه آخر ما تبقى من إنسانٍ فيه:

لا بدّ أن تتمّ الجراحة... مهما كانت النتائج. الموت أحبّ إليّ من هذا العذاب. إنني أكرهك، وأنت أيضاً تكرهني. وإذا كان لا بدّ من الموت، فلا أحبّ أن أُدفن معك في قبرٍ واحد.

كان القرن التاسع عشر يومها دهليزاً معتمًا يقود المرضى غالبًا إلى القبور. لا تعقيم، لا تخدير حقيقي، لا أشعة، لا معرفة دقيقة بالميكروبات، ولا أدنى قدرة على توقي المضاعفات. كان المشروط أشبه برسولٍ بين الحياة والموت، لكنه رسولٌ منحازٌ غالبًا إلى الفناء. دخل شانج غرفة العمليات وقلبه مثقلٌ بحلمٍ أخير: أن يموت حرًا ولو لثانية.

مات على الطاولة. وبعده بساعةٍ واحدة، لحق به أنج.

كانّ الكراهية التي مزّقتها في الحياة لم تستطع أن تمنع الوفاء الأخير بين جسدين علّمهما القدر أن الفراق الحقيقي لا يتمّ إلا بالموت.

كانا قد أوصيا أن يُدفنا في قبرين متباعدين، لعلّ التراب يمنحهما ما لم تمنحهما الحياة: مسافة.

لكن أبناءهما، وكانوا تسعةً من البنين والبنات، أصرّوا أن يُدفنا في قبرٍ واحد. ربما لأنّ الأبناء فهموا ما عجز الأبوان عن فهمه في لحظة الألم الأخيرة:

أنّ بعض الأقدار، مهما ثارت عليها الأرواح، تظلّ مكتوبةً بلغةٍ لا يحوها إلا النسيان.

وهكذا انتهت حكاية الشقيقين، لا كمجرّد أعجوبةٍ من أعاجيب السيرك، بل كمرآةٍ مأساويةٍ للإنسان نفسه:

نصفٌ يحبُّ، ونصفٌ يكره، نصفٌ يطلب الحرية، ونصفٌ يخافها، وكلُّنا نحمل في داخلنا توأماً خفياً نصارعُه حتى آخر العمر.